ارتباط العربية بالاسلام تلقائي غير مفروض على الشعوب الاسلامية

للدكتور أحمد الضبيب

(جامعة الرياض)

ظهر الاسلام فى الجزيرة العربية بين قوم يتكلمون العربية ، ونزل القرءان الكريم بهذه اللغة كما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم بها فارتبطت اللغة العربية بالاسلام منذ ذلك الوقت واصبحت لغة هذا الدين لا نزاع فى ذلك ولا جدال .. ولكن الاسلام مع ذلك ليس دين العرب فحسب بل هو دين عالمي يستهدف البشر جميعا ويهدي الناس كافة فهو اذن لا يقتصر على اولئك الذين يتكلمون العربية وانما هو دين لكل الامم بكل لغاتها واجناسها .

وابان الفتوحات الاسلامية حمل العرب الاسلام واللغة العربية الى البلاد المفتوحة وكان ان تقبلت شعوبها الاسلام طوعا او كرها ولكنها لم تتقبل العربية الا بعد صدام طويل بين العربية وبين لغاتها المحلية حققت العربية بعده انتصارا كاسحا دائما فى بعض المناطق كالشام والعراق ومصر وخاصة على الصعيد الشعبي **حيث توارت لغاتها المحلية نهائيا** من عالم التخاطب العادي **وحلت محلها اللغة العربية** تدريجيا . كما حققت انتصارا مؤقتا فى فارس وما وراءها . فما ان عاد الفرس الى الاحتفاء بتراثهم القديم واعادة بناء حضارتهم السابقة حتى بدأ الاهتمام بالعربية يقل واخذت الفارسية تزدهر من جديد وخاصة في العصر السلجوقي .

وكان من مظاهر الصراع بين العربية من جهة واللغات الاقليمية من جهة اخرى ، كالفارسية مثلا تلك الحركات الشعوبية التي استهدفت تاريخ العرب وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم واخذت تفاضل وتوازن بين ما عند العرب وما عند غيرهم . وتمادت هذه الحركات المتطرفة حتى استهدفت اقدس كتاب حملته الامة العربية الى العالم وهو القرءان الكريم ، فقد روى عن الحسن بن سهل وزير المأمون انه عندما سئل عن رأيه فى القرءان الكريم قال : « حسن ككتاب كليلة ودمنة » (*)

وقد صمدت اللغة العربية فى هذه الحرب على اعتبار انها لغة الاسلام التي نزل بها القرءان والتي يتفوه بها المسلم ايا كان جنسه فى صلواته ومناسكه **فارتبطت بالاسلام ارتباطا وثيقا ولكن ارتباطها بالاسلام لم يفرضها دائما على الشعوب المسلمة** ولم يكن بمقدورها فى كثير من الاقطار الاسلامية ان تدخل الى مختلف طبقات الشعب فتصبح لغة التخاطب التي يستعملها الناس فى حاجياتهم اليومية . ونحن نرى فى كثير من الاقطار الاسلامية غير العربية **ازدواجا في اللغة** اذ يحتفظ الفرد بلغتين : لغته المحلية (كالاوردية او الفارسية او التركية) ولغته الدينية (**اللغة العربية**). وقد حالت دون استعمال اللغة العربية لغة شعبية فى هذه المناطق ظروف كثيرة اجتماعية وسياسية

(*) انظر : يوهان فك : العربية ص 84 (ترجمة عبد الحليم النجار : القاهرة ـ 1951 م) ، وقارنه بما جاء فى كتاب مضاهاة امثال كتاب كليلة ودمنة بما اشبهها من اشعار العرب لابي عبد الله محمد بن حسين اليمني (تحقيق د . يوسف نجم) بيروت 1961 م ص 2 .

وغيرها . كما ان الشعوب الاسلامية الاخرى التي تقبلت اللغة العربية كلغة شعبية مكنت لها ذلك ظروف اجتماعية عديدة من اهمها الاختلاط المباشر والهجرات الجماعية الضخمة التي انتقلت من الجزيرة العربية واستوطنت هذه البلدان واستطاعت ان تعيش على مر التاريخ الاسلامي ، لم تزعج عن اماكنها بسبب الحروب أو الثورات الداخلية أو النعرات العنصرية فمكنت بذلك للعربية ان تستقر وان تنمو وان تصبح لغة الشعب .

وهكذا فان انتشار الاسلام يمهد لانتشار اللغة العربية ، ولا شك ان بقاء هذه اللغة فى الاماكن التي دخلها الاسلام مرهون بالظروف الاجتماعية والسياسية المختلفة التي تسيطر على تلك الاماكن .

اما **انتشار العربية فلا يعني بالضرورة انتشار الاسلام** وليس كل من نطق العربية معتقدا بالاسلام أو مؤمنا به .. وهناك من العرب انفسهم من يتحدث العربية ويكتبها ويعتبرها لغته وجزءا من حضارته وتراثه ولكنه مع ذلك لا يؤمن بالاسلام ، وما ذلك الا لان **اللغة** فى حد ذاتها **اداة اجتماعية** تؤدي اغراضا معينة لمستعملها بصرف النظر عن اهداف هذه الاغراض ، وشان العربية فى ذلك شأن اللغات الاخرى ، وانظر الى الانجليزية فى هذا العصر ، اليست اللغة الثانية والرسمية فى الهند وباكستان ؟ وانظر الى عدد المسيحيين فى هاتين الدولتين تجدهم قلة اذا ما وازنت بين عددهم وعدد المسلمين أو البوذيين وذلك بالرغم من ان الانجليزية قد صدرها الى شبه القارة الهندية قوم مسيحيون .

والخلاصة ان **انتقال ديانة ما يستتبع انتقال لغتها المقدسة معها ، ولكن انتقال لغة ما لا يستتبع انتقال ديانة اصحابها .**

وليس لدينا من واقع لهجاتنا المحلية ما نستطيع الحديث فيه عن صلة الاسلام بهذه اللهجات ، لان هذه اللهجات لم تدرس دراسة علمية على هذا الاساس ، غير ان دخول بعض الصيغ الدينية البحت فى كلامنا الدارج يتجلى فى الادعية المختلفة التي يلهج بها ابناء الشعب فى الجزيرة فى حالات الشدة والرخاء والرضا والغضب ، وكذلك فى بعض الامثال والحكم التي تشيع بين العامة فى هذه البلاد مما يؤكد تأثيرا دينيا قويا على مفردات اللغة وتراكيبها .

ويبدو ـ وان كان الامر يحتاج الى دراسة اعمق ـ ان الفئة المتدينة من ابناء الشعب فى الجزيرة العربية هي اقرب الفئات ولوعا باللغات العربية الفصحى والتقاطا لمفرداتها وتشبها بأساليبها وقدرة على تعلمها واستيعابها نشهد ذلك فى الطلبة الذين ينشأون فى بيئات دينية فنجدهم اقرب الى تعلم العربية وتقبل قواعدها من اولئك الذين نأت بهم بيئاتهم عن الثقافة الدينية . وفى هذا ايضا ما يدل على ان الشعور الديني يهيىء لتفهم اللغة العربية وانتشارها ..